مجلة العلوم وافاق المعارف

Journal of Science and Knowledge Horizons

ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

# العربية والسلطة اللغوية: دراسة في منهج الوضع

# Arabic and Linguistic Authority: Studies in Programming

**أبو بكر أحمد إبراهيم بو بكر[1]***

**Aboubacar Ahmed Ibrahim Boubacar**

[1] باحث في اللسانيات والمعجمية العربية، (موريتانيا)،

diaabou017@gmail.com



| تاريخ ارسال المقال: 2023/08/22 | تاريخ القبول: 2023/10/01 | تاريخ النشر: 2023/12/01 |
|---|---|---|



***أبو بكر أحمد إبراهيم بوبكر Aboubacar Ahmed Ibrahim Boubacar**

**الملخص:**

تنطلق هذه الورقة البحثية من قول مدكور إن اللغويين القدامى "لم يستطيعوا التخلص من قيود الماضي، ولم يجرءوا على أن يسجلوا شيئا من لغة القرن العشرين. وما كان لهم أن يفعلوا والأمر يتطلب سلطة أعظم، وحجة لغوية أقوى" (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 2004، ص21). تُحلِّل هذه الورقة البحثية قوله "سلطة أعظم وحجة لغوية أقوى"، وذلك من خلال افتراض أن اللغويين لم يهدفوا أساسا إلى أن يتسلطوا على اللغة، بقدر ما كان جهدهم منحصرا على تقديم دراسة وصفية للعربية واستخلاص قواعد معيارية منها. ويدل على ذلك تعريفهم للنحو بأنه "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها" (ابن جني، د.ت، ص35).

**الكلمات المفتاحية:** اللغة ; السلطة ; السلطة اللغوية

**Abstract :**

This article begins with Madkour saying that ancient linguists "could not shake off the constraints of the past, and did not dare record anything of the language of the 20th century. They could not have done it, and the question requires greater authority and a stronger linguistic argument." This article analyzes his dictum "the greatest authority and the strongest linguistic argument", assuming that linguists did not primarily aim to dominate the language, especially since their effort was limited to presenting a descriptive study of the Arabic and to extract normative rules from it.

.

**Keywords**: language ; Authority; Linguistic authority; normative; assuming; linguistic

## 1. مقدمة

المنهج في اللغة هو الطريقة التي يتبعها المرء في تحقيقه مراده. ويراد بالمنهج في المعجم الطريقة التي يسلكها المعجمي في وضع مداخله المعجمية وتعريفها. وأما المنهج اللغوي، فهو الطريقة التي سلكها اللغويون القدامى في دراسة اللغة العربية. وأما الوضع فيراد به كيفية إيراد المداخل المعجمية وشرحها، فلقد تعددت الطرق المعجمية وتباينت وهي مع ذلك تتفق على أنها تريد جميعا في النهاية أن تصنع معجما. والوضع اللغوي هو الكيفية التي وضع بها الدارسون اللغة العربية.

## 2. مفهوم اللغة والسلطة

تُعرّف اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (ابن جني، د.ت، ص34). وهي بالمفهوم الحديث عند دي سوسير نظام من العلامات الصوتية تتفق عليها جماعة معينة لتعبر بها عن أفكارها (De Saussure, 2005, p:22). فاللغة عند ابن جني أصوات تهدف أساسا إلى التعبير عن الحوائج، ما يعني بالضرورة وجود اتصال بين فردين أو أكثر يتفقون ذهنيا في معاني هذه الأصوات ويتفاهمون بها فيما بينهم، فهي ظاهرة اجتماعية تتعلق بالجماعة اللغوية. وقد اتفق تعريف سوسير مع تعريف ابن جني في أن اللغة أصوات للتعبير، وأنها ظاهرة اجتماعية، غير أنها نظام، والنظام قضية بنيوية تتعلق بالقواعد الذهنية التي يمكن استنباطها من الحديث المتواتر بين الجماعة اللغوية، وقد فصل في ذلك دي سوسير حين حديثه عن النظام والنسق اللغوي.

قسم سوسير اللغة إلى ثلاثة مستويات: اللغة (langue) واللسان (langage) والكلام (parole)، واللغة هنا مصطلح يعني أداة التواصل مطلقا، وهذه الأداة كلية تشتمل على كل ما هو علامة للتواصل والتعبير، فيدخل فيها اللغة بمعناها الواسع العام، بينما اللسان هو المستوى اللغوي الخاص لجماعة معينة، وهو ظاهرة اجتماعية لها خصائصها الصوتية والتركيبية ونظامها اللغوي الذي تنفرد به، وتختلف اختلافا عن بقية اللغات للجماعات اللغوية الأخرى. والكلام عند سوسير ظاهرة فردية ونظام لغوي خاص به، وهو أقل درجة من المستوى

اللساني، وإن كان احتمال أن يؤثر فيه الفرد كبيرا، ولكن على المستوى المعجمي والدلالي لا المستوى التركيبي ولا نظام اللغة.

ركزت دراسة تشومسكي للغة على المستوى الكلامي، أي أداء الفرد الواحد للغة. وملخص مذهبه أن الفرد يحمل في ذهنيه بنيتين لغويتين. البنية الأولى عميقة تعتمد أساسا على الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، فالكفاية اللغوية مجموعة من الجمل الباطنة تكتسب أثناء اكتساب اللغة، ويمكنها أن تولد جملا أخرى مماثلة دون نموذج سابق، فهي معرِفة ضمنية للغة. بينما الأداء الكلامي تسييق لهذه الكفاية في الاستعمال الآني للغة. وهذا ما نتجت عنه النظرية التوليدية التحويلية التي تتلخص في نظام القواعد الذي يبين دلالات الأصوات في الفكر، والذي ينبثق من الكفاية اللغوية، وتتكون من التركيب والدلالة والفونولوجيا اللغوية (زكريا، 1986).

يمكن الخروج من خلال هذه النظريات الثلاثة للغة إلى نتيجة جامعة بينها، وهي أن القواعد الذهنية الكامنة في الفرد الواحد إنما هي مكتسبة من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، ما يعني أن اللغة ما زالت ظاهرة اجتماعية لها خصوصياتها التي تفرض على الفرد تطبيقه، ويؤثر فيها الفرد ضمنيا حين يُكتب لما يأتي به من جديد قبولُ المجتمع له واستخدامه في الأداء اليومي. ومن حيث التقسيم للغة فإن مثلث دي سوسير جامعة للإمكانات الدراسية للغة. فقد اختار ابن جني وسوسير المستوى الاجتماعي، بينما اختار تشومسكي أن ينطلق من المستوى الفردي ليصل بدراسته بشكل ضمني إلى المستوى الاجتماعي للغة.

وعلاقة اللغة بالمجتمع وثيقة الصلة، إذ ترتبط بالأيديولوجيات الاجتماعية التي هي بدورها متعلقة بالأعراف التي تربط المجتمع بسلوكيات لغوية تُضفي عليها نوعا من السلطة تتجلى في طبيعة اللغة الحية التي تتأثر بالتقدم الحضاري والثقافي، ما يولد صراعا بين القديم الموروث والجديد المصنوع. وقد أكد ذلك فيركل حين ربط اللغة بالأيديولوجيات والسلطة (فيركل، 2006).

ولكن السؤال الذي ينطرح ها هنا هو التالي: ما السلطة اللغوية وأين تقع السلطة من التقسيم الثلاثي الدي سوسيري للغة؟

تُعرّف السلطة بأنها القوة والسيطرة والقهر والغلبة، وهي مُعرّفة اصطلاحا بتعريفات متباينة حسب التخصصات غير أنها تطلق غالبا ويراد بها السلطة السياسية، ولكنها صارت متعلقة أيضا باللغة كونها قوية تُخضع المجتمع بنظامها وأساليبها. وحين تتعلق السلطة باللغة فإنها تُدرس من ناحية سوسيولوجية أيديولوجية في إطار علاقة اللغة بالمجتمع وتأثيرات كل منهما على الآخر. فكل مجتمع يُوجَد فيَجِد نفسه يتكلم بلغة ما، لها قوانينها وأنظمتها لا بد أن يخضع لها كل فرد من أفراد المجتمع، ولكن من ناحية أخرى يؤثر المجتمع في اللغة على مستوى المعجم الذهني للجماعة اللغوية، فيولد كلمات جديدة ويغير دلالات معينة ويهجر كلمات ويحيي كلمات حسب المتطلبات العلمية والثقافية والحضارية لذاك المجتمع.

فالسلطة اللغوية بهذا المعنى، يتأتى على المستوى الفردي (الكلام) من حيث التوليد، وعلى المستوى الاجتماعي (اللسان) من حيث القبول (السواني، د.ت) ما يعني أن التغير حاصل في المفردات التي هي متغيرات لا في القواعد الذهنية التي هي ثوابت. "وقد يرجع تغير المعنى إلى أسباب نفسية خالصة، كالبواعث الإبداعية، والمجازات الفنية لغرض الاتساع والافتنان في التعبير، وهو ما يبرع فيه الأدباء والشعراء وأرباب البلاغة" (الصالح، 2003، ص 71).

### 3. الدراسات العربيّة والسلطة اللغويّة

فشا اللحن وانتشر بين العرب في وقت مبكر بعد انتشار الإسلام، خلافا لما يرد في الكتب غالبا، أن دخول الأجانب في الإسلام هو الذي سبب ظاهرة اللحن، غير أن الأدلة النقلية تؤيد أن الأجانب لم يكن لهم دور في ذلك، فقد ورد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام "أرشدوا أخاكم فقد ضل". وروي عن عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق مجموعة من الأقوال تكافح ظاهرة اللحن (السيوطي،1998). وقد احتكت العرب

بالأجانب قبل ظهور الإسلام بقرون، فقد كانت لهم رحلتا الشتاء والصيف وكانوا تجارا يحتكون بالفرس والروم والهنود والأحباش، كما أن الكعبة كانت موقعا استراتيجيا وقبلة للعالمين، وقد اشتهروا بأسواقهم اللغوية والأدبية واقترضوا كلمات كثيرة من الأجانب قبل الإسلام (جمرة، 2000).

ولما كان الهدف من دراسة اللغة هو الحفاظ على سلامة القرآن من أن تدخله شوائب ونواقص تحرفه لفظا ومعنى، كان لا بد من تقعيد اللغة وتحديده، لئلا يعبث به عابث فيضيعها ويضيع معها القرآن. لذا اقتضى من ذلك تقديم دراسة وصفية للغة واستنباط قواعد منها، وهذا ما تمثل في قضية تحديد الزمان والمكان في جمع اللغة، على أن هذا التحديد راجع إلى طبيعة لغة القرآن الذي نزل كاملا في تلك الفترة الزمنية من حياة العربية. فلم يحتج اللغويون إلى دراسة لغة عصرهم بقدر ما عنوا بدراسة العربية خدمة للنصوص الشرعية، لذا أُتهموا بأنهم لم يجرؤوا على تسجيل شيء من لغة عصرهم، وفي هذا نوع من المبالغة المفرطة، فقد وصلنا من لغة عصرهم الشيء الكثير تتمثل في النصوص الأدبية والعلمية والكتب المترجمة والكتب العقائدية بأصولها وشروحها وحواشيها، غير أن معاجمهم لم تسجلها، كما أن معاجمنا لم تسجل الكثير من لغة عصرها، لأنها غير قادرة على استيعابها، والمعجم في الأساس يؤلف لهدف، وهذا الهدف هو الذي يحدد مضمونه، وهذا ما تجلى في المعاجم القديمة، فقد هدفت أغلبها إلى الاستدراك على المعاجم التي سبقتها، أو تسهيل ترتيبها أو جمع مادتها وتبسيطها، إلا ثلاثة معاجم كانت لها شأن في التأليف، وهي معجم العين للخليل ومعجم الصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروز آبادي.

وأما الخليل فإنه ألف معجمه لا ليسجل الكلمات ويشرحها، وإنما ليحصي جذور العربية بالمنطق الرياضي عن طريق قلب الحروف من كل كلمة واستخراج المستعمل منها والمهمل، وقد صدر كتابه بمقدمة درس فيها الكلمات العربية دراسة صوتية من حيث التآلف والتخالف، وخصائص المقترضات في العربية، ودراسة صرفية من حيث البنية والتأليف، ومنطق التقليبات الصوتية في حروف الكلمة الواحدة، سواء كانت ثلاثية أو أكثر مجردة أو مزيدة. فمعجمه دراسة لغوية مؤيدة بأمثلة تطبيقية.

وأما الجوهري فقد ذكر بأنه وضع ما ارتأى له صحيحا من كلام العرب في معجمه وقد استعان على ذلك بالمشافهة والرواية والدراية المتقنة من أهل العراق في البادية (الجوهري، 1987). وهذا دليل على أنه سجل لغة عصره، غير أن العرب ما زالوا على فصاحتهم وتمسكهم بلغتهم ما جعل الجديد يندر في معجمه.

وأما الفيروز آبادي، فإنه أول من حاول أن يضيف إلى معجمه مصطلحات علمية وكلمات معاصرة له، وهو بذلك يستدرك على الجوهري فيما ترك. قال: "فاته نصف اللغة أو أكثر، إما بإهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادة" (الفيروز آبادي، 2005، ص27). فسعى إلى تقديم وصف للغة عصره، مما دار بين علماء اللغة وأدبائها، ولقي استنكارا على عمله وعدم قبول لذلك من اللغويين كثر، كانوا يرون في ذلك فسادا وإفسادا للعربية.

ولكن كان جمع اللغة في الأساس مبنيا على تأطير فصحى عامة يشترك فيها الكل، لذا اعتبروا بناء القواعد على ما اطرد وتواتر من أهل اللغة والفصاحة، وما ندر أو خالف الشائع المستعمل أُشير إليه وصُنف في الشاذ، ومُنع القياس عليه لمخالفته المألوف. وبما أن الفصحى مزيج من اللهجات العربية ولغة أدبية مشتركة بينها يتخاطبون بها في الأسواق الأدبية والخطب المنبرية، وُجد فيها كلمات كثيرة ترد نادرا من بعض القبائل، وسُجلت لتسجيل النصوص لها، ولكنها مستبعدة عن الاستعمال في الفصيح. وقد ورد من هذه الكلمات الشيء الكثير إذ كانت الدراسة وصفية تتطلب ذكر هذه الظواهر من باب تمييز الفصحى من غيرها من الكلمات. وهذا ما أدى إلى ظهور كتب اللحن، وكتب العامي والفصيح وكتب أخرى تهدف إلى محارب إفساد الفصحى وتغليب العاميات عليها.

على أن اللسانيين يرون أن اللغة ظاهرة اجتماعية، يتصرف فيها المجتمع كيف شاء، وعلى اللساني أن يدرس الخطأ لا أن يخطئ المجتمع، وعلى المعجمي أن يسجل الخطأ الشائع فهو خير من صواب مهجور. ولكن هذا الرأي يجعل اللغة تتغير بتغير الأجيال أو تندثر مع مر العصور والأيام، وليس أدل على ذلك من أن لغة شكسبير أصبحت في المتاحف، مع أنها لم تزد على قرنين من عصرنا. وهذا لا يتناسب مع طبيعة العربية التي هي بداية لغة مجردة من المجتمع كليا، وإنما يتحدث بها من تعلمها، وليس على من تعلم شيئا أن يبدل ويغير

ويحرف، خصوصا إن كان ذلك يؤثر في الجوهر الذي كان سببا في دراسة العربية وهو الحفاظ على سلامة النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

وقد تأثر كثير من اللغويين المحدثين باللسانيات الحديثة وبمنهجها الوصفي الذي قد لا يتناسب مع العربية، وإن كانت مجتمعات كثيرة ترى نفسها عربية، وأنه بإمكانها أن تكون النموذج الحي لتسجيل ظاهرة تطور العربية، فيؤخذ منها ما قالت ويترك ما تركت، ولكن الأمر ليس كذلك على إطلاقه. فالمجتمعات العربية لها لهجاتها وهي قابلة بأن تتطور سلبا أو إيجابا، بتطور مجتمعاتها، والعربية لغة معيارية تشترك فيها الكل، ولا ينبغي أن تتأثر باللهجات وبالتغيرات الفكرية المدمرة لها، وإنما يكفيها أن تستقبل الجديد مما ليس من جعبتها، لا أن تقبل كل ما هب ودب مما يفيدها ولا يفيدها.

وقد سعت بعض المؤسسات العلمية إلى أن تتصرف في العربية كيفما اتفق لها، وجعلت من نفسها مسيرة للعربية وأعطت لنفسها سلطة علمية تنظر في قضايا العربية وأفرضت أحكامها اللغوية على الناس، كونها كما تزعم الجهة اللغوية العليا، وبدل أن تحافظ على العربية من الضياع، تسعى بأن تجعل لهجة ما، لغة عالية تقوم مقام الفصحى، وهو سياسة لغوية تهدف إلى محو الفصحى التي هي لغة النصوص الدينية، وذلك بأن تفصل بين اللغة والدين، فتُضيّع بذلك الدين والعربية معا.

وخلاصة القول في هذا كله، هو أن اللغويين القدماء لم يكونوا أصحاب سلطة على العربية، بل كانوا واصفين للغة ومحافظين عليها من الضياع، وذلك بوضع القواعد التي تعين على تعلم اللغة من جهة وعلى تحليل النصوص من جهة أخرى، فهي كما وُصفت وُضعت لغير العرب، ليلحقوا بالعرب في الفصاحة، على أن الكل اليوم من غير العرب، ما يجعلهم سواسية كأسنان المشط يتعلمون العربية ليلحقوا بالعرب القدماء في فصاحتهم، فيلزم من ذلك الخضوع للقواعد، وبما نطقت به العرب تأسيا، وبقبول الخطأ والصواب في كتب قل ولا تقل.

لا يمكن لجهة أن تجعل لنفسها سلطة علمية وحجة لغوية أقوى متأثرة بالرؤية الغربية للغة، وهي تريد بذلك الحفاظ على العربية، ذلك أن الحفاظ على العربية ليس بفتح الأبواب للعاميات وتسريب كلمات مقترضة في الفصحى لا داعي إلى وجودها، وإنما يكون ذلك بعناية الفصحى وسد أبواب إفسادها، ما لم تكن لتلك الجهة أهداف أخرى بعيدة عن أن تكون خادمة للفصحى.

## المصادر والمراجع


- ابن جني، أبو الفتح عثمان (د.ت). **الخصائص**، ط4، (د.م): الهيئة المصرية العامة للكتب.
- جمران، محمد أديب (2000). **معجم الفصيح من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية**، الرياض: مكتبة العبيكان.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل (1987). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق عطار، أحمد عبد الغفور، بيروت: دار العلم للملايين.
- زكريا، ميشال (1986). **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)**، بيروت – لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- السوداني، حسين (د.ت). **التغير اللغوي**، مقالة قيد النشر.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبو بكر (1998). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق منصور، فؤاد علي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الصالح، حسين حامد (2003). التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث، **مجلة الدراسات**، العدد 15، صص65-103.
- فيركل، نورمان (2016). اللغة والسلطة، ترجمة عناني، محمد، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر (2005). **القاموس المحيط**، ط8، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- مجمع اللغة العربية (2004). **المعجم الوسيط**، ط4، (د.م): مكتبة الشرق الدولية.

- De Saussure, Ferdinand (2005). *Cours De Linguistique générale*, Genèvre : Arbre d'or.

- References :


- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman (d.d.). Characteristics, 4th edition, (D.M.): Egyptian General Book Authority.
- Chamran, Muhammad Adeeb (2000). Al-Fusih Dictionary of Arabic Dialects and Their Corresponding Qur'anic Readings, Riyadh: Obeikan Library.
- Al-Gawhary, Abu Nasr Ismail (1987). Al-Sihah Taj Al-Lughah and Sahih Arabic, edited by Attar, Ahmed Abdel Ghafour, Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalayin.
- Zakaria, Michel (1986). Generative and Transformative Linguistics and Arabic Grammar (Simple Sentence), Beirut - Lebanon: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
- Al-Sudani, Hussein (d.d.). Linguistic change, article in progress.
- Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abu Bakr (1998). Al-Mizhar fi Sciences of Language and its Types, edited by Mansour, Fouad Ali, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Saleh, Hussein Hamed (2003). Semantic development in Arabic in light of modern linguistics, Journal of Studies, No. 15, pp. 65-103.
- Fairkle, Norman (2016). Language and Power, translated by Anani, Muhammad, Cairo: National Center for Translation.
- Al-Fayrouzabadi, Majd al-Din Abu Taher (2005). The Ocean Dictionary, 8th edition, edited by the Heritage Office of the Al-Resala Foundation, Beirut - Lebanon: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution.
- Arabic Language Academy (2004). Intermediate Dictionary, 4th edition, (Dh.): Al-Sharq International Library.
- 
- De Saussure, Ferdinand (2005). General Linguistics Course, Genèvre: Arbre d'or.